

تفسير الثعالبي

ويوكل بهن حراسا فمن وضعت انثى تركت ومن وضعت ذكرا حمل إلى الملك فذبحه وان أم إبراهيم حملت وكانت شابة قوية فسترت حملها فلما قربت ولادتها بعثت أبا إبراهيم إلى سفر وتحيلت لمضيه إليه ثم خرجت هي إلى غار فولدت فيه إبراهيم وتركته في الغار وكانت تتفقد فوجدته يتغذى بأن يمص اصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذيه ملك وحكي بل كانت أمه تأتية بالبان النساء التي ذبح ابناؤهن وإِ أعلم أي ذلك كان فشبه إبراهيم أضعاف ما يشب غيره والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار عشرة أعوام وقيل خمس عشرة سنة وأنه نظر أول ما عقل من الغار فرأى الكواكب ومرت قصة الآية وإِ أعلم فإن قلنا بأنه وقعت له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب إليه بعض المفسرين ويحتمله للفظ فذلك ينقسم على وجهين إما أن يجعل قوله هذا ربي تصميمًا واعتقادًا وهذا باطل لأن التصميم على الكفر لم يقع من الأنبياء صلوات إِ عليهم وأما أن نجعله تعريضا للنظر والاستدلال كأنه قال أهذا المنير البهي ربي ان عضدت ذلك الدلائل وان قلنا ان القصة وقعت له في حال كبره وهو مكلف فلا يجوز أن يقول هذا مصمما ولا معرضا للنظر لأنها رتبة جهل أو شك وهو عليه السلام منزّه معصوم من ذلك كله فلم يبق إلا أن يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم في عبادة الأصنام كأنه قال أهذا المنير ربي وهو يريد على زعمكم كما قال تعالى اين شركاءي أي على زعمكم ثم عرض إبراهيم عليهم من حركة الكوكب وأفوله أماراة الحدوث وأنه لا يصلح أن يكون ربا ثم في آخر أعظم منه وأحرى كذلك ثم في الشمس كذلك فكأنه يقول فإذا بان في هذه المنيرات الرفيعة أنها لا تصلح للربوبية فأصنامكم